الفصل الرابع

أنا ... وقلمي

مقدمة

تعمدت فى هذا الفصل الرابع والأخير، أن أضع بعضًا من المقالات المتنوعة فى الشأن العربى والتى كتبها المؤلف أمين بك عز العرب، والتى تعبر عن حالة الكاتب النفسية وخواطره، وبعضًا من المشاكل الحياتية التى تواجه المصريين قبيل 23 يوليو 1952، بالإضافة إلى ضرورة أن يسود الحق وعلى اعتبار أن شعار الوفد هو «الحق فوق القوة وأن الأمة فوق الحكومة»، هذا الشعار الخالد للزعيم خالد الذكر سعد زغلول زعيم ثورة 1919 التى نحتفل بمئويتها خلال هذه الأيام، واحتفال الوفد أيضًا بمئويته. وكذلك تضم هذه السلسلة من المقالات مقالًا مهمًا موجهًا من المؤلف باعتباره نائبًا فى مجلس الشيوخ، ومعنونًا باسم «لست أريد إحراجًا»، ويتحدث فيه عن السياسة الخارجية للبلاد، ويصف فيه هذه السياسة بالغموض. ورغم أن المؤلف وفدى خالص، إلا أنه لم يرد غضاضة من انتقاد وزارة الخارجية الوفدية.. هذه هى حرية الرأى وتلك هى أزهى عصور الكتابة فى الصحف المصرية ومن بينها صحيفة «البلاغ» الناطقة بلسان حزب الوفد.

لست أريد إحراجًا

أقسم أننى لا أريد إحراجًا، وإنما أريد استفهامًا واستيضاحًا. وأنا كعضو فى مجلس الشيوخ لا أزال صاحب حق دستورى فى أن أتفهم تصرفات الوزارة ووجهة نظرها فى شئوننا العامة حتى إذا وضحت لى أقررتها على ما يصح أن أقرها عليه أو نقدتها إذا وجدت ما يوجب النقد، وهذا حقى بل إنَّه واجبى المفروض بحكم الدستور. ولما كان المجلس الموقر الذى أتشرف بعضويته موقوفة جلساته تبعًا لحل مجلس النواب فإنَّ من حقى أن أستبدل بمنبره العالى، منبر الصحافة، فى أى وقت أريد فأستفهم عما يجب على أن أتعرفه من أمورنا الخارجية والداخلية وهى كثيرة. وجليلة الخطر.

إننا أمام غموض، وغموض عميق لا ندرى من أمرنا فى الشئون الخارجية شيئًا، والصحف نراها فى كل يوم وعلى اختلاف ألوانها تكتب وتقول كلامًا معادًا لا غناء فيه ولا شفاء به. لكن أحدًا لا يستطيع أن يحدد لنا الموقف تحديدًا واضحًا. ولا أن يلقى ضوءًا ينير لنا السبيل، فنجزم بشىء يشفى الغليل.

ثلاثة أشهر ونصف الشهر انقضت دارت فيها مباحثات أو محادثات سمها استطلاعية وسمها ما شئت وتخللتها اجتماعات وتنقلات وسفر بين مصر ولندن، فما الذى انتهت إليه هذه المحادثات؟ وعند أية نقطة انتهت. وما المسائل التى تم الاتفاق عليها إن كان الاتفاق قد تم على شىء. وما الأمور التى اختلف عليها الجانبان المصرى والإنجليزى تحديدًا.

إننا فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. ولعلَّ دولة رئيس

الوزراء يكون أشفق على نفسه فلا يحملها عبء الكتمان وثقل الحمل. ويكون أشفق على مواطنيه، فلا يدع الأمور مجهلة عليهم. خافية عنهم لعلهم يستطيعون أن يعاونوه بالرأى أو التوجيه.

وهذا الوفد السودانى الذى زار مصر أخيرًا واستقبلناه أحسن استقبال وكتبنا غير مرة مرحبين بحضرات أعضائه ومؤكدين لهم إخلاص مصر لشقيقتها السودان. وبينا لهم أنَّ مصر لا تريد سيادة ولا استعمارًا وأنها تريد وحدة بين أخوين متكافئين.. وحدة تقيهما معًا وتصونهما معًا وتحفظ كيانهما معًا.

هذا الوفد قد استقر فى مصر أيامًا طويلة وجرت أحاديث ودارت مناقشات فما هى؟ وما كنهها؟ وما الذى انتهت إليه الأمور. أهى انتهت إلى اتفاقٍ أو إلى اختلافٍ، فإن كانت الأولى فعلام تم الاتفاق، وإن كانت الثانية ففيم شجر الخلاف.

فهل يرضى دولة رئيس الوزراء فى هذا الشأن أيضًا أن يبقى حاملًا العبء والحمل وحده. فلا يبصر مواطنيه ولا يطمئن قلوبهم، ولا يكشف لهم عما دار وعما كان.

إنَّ هذه الأحاديث التى ترويها الصحف عن مسئولين كبار أو غيرهم ليست لها أية صفة رسمية. ولا هى حجة على أحد مطلقًا ولا يمكن التمسك بها ولا الاعتماد عليها لأنَّ الأحاديث يجب أن تكون واضحة بالنسبة لأصحابها لتكون لها قيمتها ووزنها.

ودولة رئيس الوزراء يعلم عن يقين أنَّ الحكومات تقوم والوزارات تؤلف لخدمة الأمم، وأنَّ من حقوق الأمم الأولية أن تعرف كل شىء، خصوصًا بعد أن تنتهى الأمور إلى وضع من الأوضاع.

كم من مرة قرأنا فى الصحف أنَّ المحادثات مع الطرف البريطانى قد وقفت أو قطعت.

لكن دولة رئيس الوزراء لم يصرح بهذا شخصيًا وباسمه وفى علانية، ولن يسأله أحد لم وقفت أو قطعت إنما سيقول له المصريون أصحاب الحق وماذا أنت فاعل بعد هذا؟

وسيفسح المجال للناس ليدلوا بآرائهم لكن الناس حيارى لأنهم لم يصلوا إلى الحقيقة لأنهم لا يعرفونها.

فهل آن لدولة رئيس الوزراء أن يشفق على نفسه أولًا وعلى الشعب ثانيًا فيشرك الشعب معه فى حمل العبء فيهون الأمور على نفسه ويدخل الطمأنينة على الناس.

إنَّ القضية المصرية ملك شائع لثلاثين مليونًا يعيشون على ضفاف النيل من منبعه إلى مصبه، ومن حق هذه الملايين أن تعرف مصيرها ومصير أهدافها ومستقبلها ومستقبل الأجيال القادمة.

وليس يغنى شيئًا أن يلتقى دولة رئيس الوزراء ببعض السياسيين من بعض الأحزاب ليسر إليهم ما عنده أو بعض ما عنده.

إننى أهيب بدولة الرئيس أن يزيل هذا الغموض وأن يطمئن أمته التى تركت له الأمور يصرفها على الطريقة التى ارتآها.